The role of education in community development: Emile Durkheim's approach as a model

Rawdat Mubadara
University of Tunis El Manar
Tunisia
Email: rawdatmubadara.ly@gmail.com

ABSTRACT

When we go back to the history of anthropological and human thought, we will find that among the central answers in sociology and philosophy to the question "What is man?" is that he is "a social animal by nature" or a civil animal by nature" and this sociality that determines his reality is what makes all his qualifications and readiness directed towards the advancement of society. The individual's being is achieved and realized in society, and it is through it that he exists and without it he does not exist. Therefore, the goal of thinking and editing in this issue was to highlight the role of education in building society and advancing it and then achieving societal development. It is clear that the mission of colleges of education is to educate learners on collective sense or conscience and social responsibility and thus strengthen the existing ties between the learner and his society. Education is necessary for the survival of the individual and his continuation as a social entity that bears witness to the awareness of man of his role in society and the role of society in advancing the individual in his knowledge, behaviors and actions, which is what the French sociologist Emile Durkheim referred to in his sociological project, as he defines education as "a social upbringing practiced by previous generations on subsequent generations." Hence, the important role of education in instilling values, morals and virtue in human societies. It is clear that the main goal of education is to shape the individual and society in a humane manner, and to develop it cognitively, value-wise and culturally. Culture plays a major role in this formation, because it integrates all elements of language, customs, traditions, heritage, social and religious behavior.

دور التربية في تنمية ا لمجتمع مقاربة إ يميل دوركايم نموذجا

روضة مبادرة

جامعة تونس المنار

تونس

Email: rawdatmubadara.ly@gmail.com

الملخص:

حين نعود إلى تاريخ الفكر الانثروبولوجي و الإنساني سوف نجد أن من بين الإجابات المركزية في علم الاجتماع و الفلسفة عن سؤال " ما الإنسان ؟ هي أنه " حيوان اجتماعي بالطبع " أو حيوان مدني بالطبع " و هذه الاجتماعية التي تحدد حقيقته هي ما تجعل من كل مؤهلاته و استعداداته متجهة نحو الرقي بالمجتمع فكينونة الفرد تتحقّق و تحقّق في المجتمع و هو الذي به يكون ومن دونه لا يكون لذلك كان الهدف من التفكير و التحرير في هذه القضية هو إبراز دور التربية في بناء المجتمع و التقدم به ومن ثم تحقيق التنمية المجتمعية فواضح أن مهمة كليات التربية تربي المتعلمين على الحس أو الضمير الجمعي و المسؤولية الاجتماعية و بالتالي تعزيز الروابط القائمة بين المتعلم ومجتمعه.

فالتربية ضرورية لبقاء الفرد واستمراره كذات اجتماعية شاهدة على وعى الإنسان بدوره في المجتمع ودور المجتمع في الرقي بالفرد في معارفه و سلوكياته و أعماله وهو ما أشار إليه عالم الاجتماع الفرنسي ايميل دوركايم في مشروعه السوسيولوجي بما انه يحدد التربية على أنها " تنشئة اجتماعية تمارسها الأجيال السابقة على الأجيال اللاحقة." ومن هنا كان دور التربية الهام في زرع القيم والأخلاق و الفضيلة في المجتمعات البشرية .

فواضح أنّ الغاية الرئيسية من التربية هي تشكيل الفرد والمجتمع تشكيلا إنسانيا، وتطويره معرفيا و قيميا وثقافيا وتلعب الثقافة دورا كبيرا في هذا التشكيل، لأنها تدمج كل العناصر من اللغة والعادات والتقاليد والتراث والسلوك الاجتماعي والديني .

تمهيد

في ديالكتيك الفرد و المجتمع في التربية و التعليم

إنّ جدلية الفرد والمجتمع هي جدلية طبيعية مدونة في بنية النوع الإنساني ومثلما أكد "ابن خلدون" ذات عصر في المقدمة بأن "الإنسان حيوان اجتماعي بالطبع " و أن العزلة هي ما يمقته و يتجنبه لأن " الجحيم كله في كلمة العزلة " على حد قول الأديب الفرنسي" فيكتور ايغو" وعليه فإن

الاجتماعية غريزة متجذّرة في طبيعة النوع البشري . فالفرد و المجتمع ، المجتمع و الفرد جدلية أنثروبولوجية سوسيولوجية لا يمكن المرور عليها مرور الكرام أو الضيوف بل لابد من الإقامة في براثن هذه العلاقة الديالكتيكية و ما تضمره من حيثيات يجب على الفكر أن يبحث و يتقصى و يحلل ويفكك ويبني يؤسس فيها منظورا أنثروبولوجيا سوسيولوجيا فلسفيا بما أن الفلسفة أم هذه العلوم ونقطة التقائها في آن .

إن المجتمع في نظر دوركايم يعرف بوجود نوعين من التضامن تتجلى فيهما بوضوح علاقة الفرد بالكل أو بالجماعة : التضامن الآلي و التضامن العضوي الأول تغيب فيه ذاتية الفرد وفرديته في الوعي الجمعي فيكون بذلك مشابها للكل و تابعا منتميا للمجتمع أما التضامن الثاني العضوي فيتمتع فيه الفرد باستقلال نسبي محدود في إطار تقسيم العمل و المهام و في كل الحالات فهو يضل تابعا ومنصهرا في حياة المجموعة خاضعا لتوجيهات و إرشادات المجتمع وبالتالي يضمن المجتمع وحدته و تماسكه .

كما أنّ "الإنسان حيوان عارف و متعلم " ونزوعه للمعرفة و التعلم هو نزوع فطري يتشكل عبر الفضول و الاكتشاف وحاجته الملحة لأن يتعلم ويتربى على مبادئ و قيم تساعده على البقاء و حسن البقاء. و عمليّة التربية و التعليم هذه تجتمع فيها مجموعة من الفاعلين ومن هنا يلتقي الفرد بالمجتمع من خلال ثنائية المعلم والمتعلم أو المربي و المتربي و لعلّ الرسالة هي التربية و التعلم.

إذ يعد التعليم أحد الأعمدة الأساسية لتطوير المجتمع، نظرا لما يوفر من مجموعة المهارات والخبرات التي تساهم في النمو على كافة الأصعدة الصحة، العمل، والأخلاق والقيم الاجتماعية، والاقتصادية و السياسية ة .و بذلك ورفع مستوى معيش الأفراد ، لذلك، يعد التعليم عاملاً حاسماً في تحقيق الازدهار والتنمية المستدامة للمجتمعات.

إن المجتمع في نظر دوركايم يعرف بوجود نوعين من التضامن تتجلى فيهما بوضوح علاقة الفرد بالكل أو بالجماعة : التضامن الآلي و التضامن العضوي الأول تغيب فيه ذاتية الفرد وفرديته في الوعي الجمعي فيكون بذلك مشابها للكل و تابعا منتميا للمجتمع أما التضامن الثاني العضوي فيتمتع فيه الفرد باستقلال نسبي محدود في إطار تقسيم العمل و المهام و في كل الحالات فهو يضل تابعا ومنصهرا في حياة المجموعة و بالتالي فالطابع الاجتماعي في الإنسان هو الذي به تتقوّم العملية التربوية ومن هنا تتشكل علاقة وثيقة، بين القيمة التربوية و القيمة الاجتماعية بالنظر إلى تأثير الفرد المتعلم في المجتمع، و تأثير المجتمع على الفرد الذي يطلب التعلّم .و لعلّ الغاية هنا هي :

التطور و التقدم سواء على مستوى فردي أم جماعي و نشر الوعي والإدراك لدى الأفراد والمجتمعات و الحس الجمعي يقوي الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية.

التصور السوسيولوجي للتربية

مكانة التربية في النسق السوسيولوجي عند دوركايم

إنّ السوسيولوجيا هي ذلك العلم الذي يدرس المجتمع و الإجتماع في كلّ تمفصلاته وظواهره وتنهل السوسيولوجيا مباشرة من الفلسفة و بالخصوص فلسفة الأنوار.

عند البحث في السوسيولوجيا المعاصرة يعترضنا السوسيولوجي الفرنسي ايميل دوركايم [1]بإنتاجاته العلمية التي ما انفكت تدرس و تبحث في مفهوم التربية بالنظر إلى شياكة المسألة فإن دوركايم قد عالجها و قدمها للفاعلين في هذا الأمر من منطلق علمي يدرس المجتمع و الاجتماع البشري في شتى تمفصلاته ومن هنا كانت التربية بعلومها وحيثياتها حاضرة في دراسات السوسيولوجي المعاصر و هو القائل :

"بوصفي عالم اجتماع، ومن خلال علم الاجتماع أحدّثكم عن التربية، وبعيدا عن التحيز والمواربة إنني مقتنع بأنه لا يوجد منهج آخر أكثر كفاءة من منهج علم الاجتماع،[2] في استجلاء حقيقة التربية وتحديد طبيعتها، فالتربية شيء اجتماعي بالدرجة الأولى[3] ".

إنّ الهدف من اختيار هذه المقاربة هو استقراء الوعي السوسيولوجي عند دوركايم، خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالجانب السوسيو–تربوي؛ و لعل المبتغى الأكثر قيمة هو الوقوف على مميزات النسق الفكري العام لمقاربات دوركايم وجدارته في دراسة المعضلات والظواهر الاجتماعية، في إطار ما يدعى بعلم الاجتماع التربية. بالنظر إلى ما حققه علم اجتماع التربية من منعرج حاسم في تاريخ الأنساق السوسيولوجية ، ويعود ذلك إلى ما بذله دوركايم من مجهودات تذكر فتشكر من أجل فك التقعيد المنهجي والابستيمولوجي لعلم الاجتماع بصفة عامة، والدراسات الاجتماعية ضمن علم الاجتماع التربية بصفة خاصة. لهذا فهذه العودة إلى دوركايم عي في حد ذاتها دعوة للوعي بأهمية المقاربة الدوركايمية في عرضها للمشكلات التربوية التأكيد على قيمتها المعرفية والمنهجية. وعليه فإنّ من يقترب من دوركايم ويهم بقراءة مؤلفه " التربية و المجتمع " كأنّه يخاطب إحدى أهم العبقريات في مجال السوسيولوجيا عامة و مجال السوسيولوجيا التربوية خاصة ويجد نفسه أمام لوحة علمية للفكر التربوي تبرز فيها الأصالة المنهجية التي عرف بها دوركايم [4].

فلقد أكّد دوركهايم باكرا في نظريته السوسيولوجية على أهمية الأبعاد الاجتماعية للتربية. [5]وقد ونجح في تقديم نظرية متكاملة، قائمة على أساس نقدي لاذع خاصة تجاه بعض الآراء التربوية مثل التي عند كانط Kant ، وسبنسر Spencer ، وستيوارت ميلStuart Mill ، وهيربارتHerbart ، ويعتبرها ديركايم تصورات ذات بعد سيكولوجي .**فالتربية "اجتماعية بالأساس بوصفها " شيئا اجتماعيا بالدرجة الأولى"، وذلك في إطار بنيتها ووظائفها وفي مستوى العلاقة التي تربطها بالأنظمة التربوية الاجتماعية القائمة**[6].

منذ ديباجة مؤلفه " التربية و المجتمع " يعرّف دوركايم التربية بما هي " التأثير الذي يمارسه الكبار على الصغار "[7]وهو بذلك يرفض مختلف التعريفات السابقة لهذا المفهوم على غرار مفهوم ستيوارت ميل القائل :جملة التأثيرات القائمة على كل ما نفعله نحن بأنفسنا و كل ما يفعله الآخرون من أجلنا "[8] و التربية ليست " في تحقيق صورة الكمال الممكن للفرد الإنساني "[9]مثلما تصورها كانط و هو تعريف يحدد التربية بما هي العمل الذي يهدف الى تحقيق سعادة الإنسان و سعادة الآخرين "[10] فهو تحديد يفتقر إلى الموضوعية و مسألة السعادة هي مسألة ذاتية . وحتى لو كانت السعادة موضوعية كما تصورها سبنسر فهي تتعارض مع غاية التربية لأنها مرتبطة بالحياة الكاملة .وهذا يتناقض مع متطلبات الحياة و الموازنة بين الحيوي العضوي و العقلي .

إنّ هذه الانتقادات التي وجهها دوركايم لبعض التصورات التي طرحت مسألة التربية يبررها و يبرز تهافتها بأنها " تنطلق من مسلمة أساسية تؤكد وجود تربية مثالية ، كاملة تناسب جميع الناس بلا تمييز "[11]وهذا في حد ذاته ينفي الطابع الخصوصي للمجتمعات .

من المسلمات التي لا ريب فيها هي أن التربية تتوج من المقومات الأساسية لقيام أي مجتمع وتطوره، لأنها في علاقة جدلية بين التنظير الفلسفي كنزعة فردية، والواقع الاجتماعي ونظمه والممارسة العملية، ليكون دوركايم من بين الأوائل الذين حاولوا إعطاء التربية صبغة اجتماعية، لهذا قام بنقد الدراسات التربوية السابقة سواء كانت دينية أو فلسفية ، وبالتحديد التربية و السوسيولوجيا، ثم فالتربية عند دوركايم لها أصول وأهداف سوسيولوجية.12

وعليه فقد أحدث التصور الدوركهايمي رجة و ثورة في قلب التصورات الكلاسيكية التقليدية التي ترى في التربية عملية غايتها الأسمى تحقيق الكمال الإنساني من خلال تنمية الملكات الداخلية الأصيلة للنوع الإنساني. وفي هذا الإطار يقول دوركهايم" **من أجل أن نعرف التربية يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الأنظمة التربوية القائمة والتي كانت قائمة من قبل، وأن نقارب بينها**، وأن نميز خصائصها المشتركة[13] .وقد أعلن دوركهايم نتيجة أبحاثه في علم التربية **أن علم التربية علم اجتماعي وذلك على مستوى المنهج والنظرية والتطبيق** [14].

فالتربية، كما يعلن عنها دائما دوركايم " **هي قبل كل شيء الوسيلة التي يجدد المجتمع عن طريقها وباستمرار، شروط حياته الخاصة**"[15] وتكمن " وظيفتها الأساسية، على حد قوله، في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية المنهجية للأجيال الجديدة.

عندما قام دوركايم بدراسة الأنظمة التربوية السائدة في عصره وقارن بينها، كانت غايته تعريف التربية تعريفا واقعيا، ويقتضي الأمر وجود عناصر أساسية لا يمكن التغافل عنها أو فصلها عن بعض وهي كالتالي :

أوّلا : أن يكون هناك جيل من الصغار.

ثانيا : أن يكون هناك جيل من الراشدين.

ثالثا : أن يكون هناك تأثير يمارسه جيل الراشدين على الجيل الصغير.

فلئن كانت التربية " تنشئة اجتماعية تمارسها الأجيال السابقة على الأجيال اللاحقة". فهي تعمل بطريقة ما على أن" **تكوّن في داخل كل فرد في المجتمع كائنا آخر جديدا هو الكائن الاجتماعي** "[16]. ولعل ما يكسبها قيمة أكثر أنها ليست قاعدة موحدة بين المجتمعات بل لكل مجتمع " فالتربية تتغاير بلا حدود مع الزمن و البلدان "[17] . إذ توجد في كل مجتمع نماذج تربوية متعددة بتعدد الأوساط الاجتماعية. وحتى في المجتمعات الديمقراطية، فإن التربية تتباين، ويجب أن تتباين بالضرورة وفقا لتباين السلم الاقتصادي والاجتماعي السائد. وهو تباين واضح ، إذ يقوم كل مجتمع على نموذج مثالي للإنسان، وهذا يمثل قطب المسألة التربوية ومركز ثقلها. حيث تمثل التربية في كل مجتمع " الوسيلة التي يعتمدها في إعداد الأطفال وفقا للشروط الأساسية الخاصة بوجوده ". ومن ثم فإن لكل شعب نظامه التربوي الخاص الذي يمكن له أن يحدد في الوقت نفسه ملامح بنيته الأخلاقية والسياسية والدينية.

تتميز التربية في التصورات السوسيولوجية بمكانة مثلى بالنظر إلى أهميتها في بناء المجتمع قيميا وهو ما أكّد عليه دوركايم في مؤلفاته خصوصا "التربية و المجتمع " و " التربية الأخلاقية ". "فالنموذج المثالي للتربية في مجتمع ما، في عصر ما يعبر واقعيا وقبل كل شيء عن وضعية المجتمع في المرحلة التاريخية المعينة. ولكن من أجل أن يصبح ذلك النموذج حقيقة واقعية يوجب ليه أن يشكل وعي الأطفال وعقولهم ."[18] وبالتالي تشكيل سلوكهم وقيمه **ولعل دوركايم قد أخذ مثال المجتمعات المتقدمة التي راهنت المنظومة التربوية لتنقذها من الأزمة التي عاشتها في لحظة تاريخية ما و القصور العقلي و القيمي الذي لازمها طيلة قرون من الزمن ، لتكون النهضة بالتربية شعار التنوير الحقيقي ولعل مساهمة دوركايم في هذه النهضة بالتربية قد تركزت بالأساس على المجتمع الفرنسي ويرى في كتاب " التربية و المجتمع أنّ الإصلاح المجتمعي لابد وأن يبدأ من قاعدة المجتمع وصولا إلى قمته، من خلال الاهتمام بالتربية القيمية الصحية للطفل وتعزيز الجانب الأخلاقي في شخصيته، وتجويد الفعل التربوي ونبذ الممارسات التربوية القديمة التي لم تكن تراعي خصوصية المرحلة العمرية للفرد ولم تكن تتماشى مع متطلبات بناء المجتمعات الحديثة، و الدور الحقيقي هو الذي لابد أن تقوم به المؤسسات التربوية المجتمعية في تعزيز القيم الأخلاقية لدى الطفل19 .**

اهتم إميل دوركايم في محاضراته الجامعية بالمشاكل الاجتماعية وخاصة المسألة القيمية، وحاول من خلال ذلك أن يجعل الشباب الفرنسي نقطة بداية لفكرة الإصلاح التي كان يحملها، فكرة كانت ترمي أساسا إلى بناء مشروع مجتمعي نموذجي بمقاييس نموذجية عالمية تكون التربية ركيزته الأساسية و عموده الفقري [20].

فمن الواضح أن مساهمة إميل دوركايم في سوسيولوجيا التربية كانت لا تخلو من أهمية بالنظر إلى ما قدمه من أفكار حديثة تخدم الوازع الاجتماعي و الوازع الأخلاقي و السوسيو تاريخي للفكر التربوي الدوركايمي ووظائف التربية في المجتمع، إذ . يعتبر إميل دوركايم مرجعاً هاماً في تأس«سوسيولوجيا التربية» بفرنسا و بأوربا عموما ، وأول من قام بالإعلان عن حاجة التعليم إلى مدخل سوسيولوجي لدراسة التربية، ة باعتبار أنّ التربية ظاهرة سوسيولوجية بالأساس، من خلال دورها الفعّال في إحداث التوازن الاجتماعي للمؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة.ومختلف مؤسسات التعلم عن طريق الأخلاق أو ما يسمى بـ «التربية الأخلاقية»،21.

إن الأهمية التي تكتسبها مقاربة دوركايم للتربية في علاقتها بالمجتمع تجد صداها في مدى اهتمامه بالبعد التربوي في التنشئة الاجتماعية و البعد الاجتماعي في التنشئة التربوية فهذا التفاعل الجدلي بين الاجتماعي والتربوي له جذور فكرية تعليمية بالأساس فوفق بول فوكوني فإن دوركايم كان طوال حياته يدرس التربية و علم الاجتماع في ذات الوقت. 22

إنّ التربية وفق التعريف الذي وضعه دوركايم " هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال الصغيرة التي لم تصبح بعد ذلك ناضجة للحياة الاجتماعية، وموضوعها إثارة و تنمية عدد من الاستعدادات الجسدية والفكرية و الأخلاقية عند الطفل، والتي تطلبها المجتمع السياسي في مجمله والوسط الخاص الذي يوجه إليه"[23].والتربية عند دوركايم تحمل بعدا اجتماعيا فهي ظاهرة اجتماعية لها نفس خصائص وتحمل مواصفات الظاهرة الاجتماعية ، فهي عملية تفاعل وتواصل مستمر بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه ،وعليه فان المقصود من التربية هو تكوين الفرد وإعداده إعدادا تاما من اجل الاندماج في المجموعة و التفاعل مع قوانينها .ولعل هدف التربية هنا "بناء الكائن الاجتماعي "[24] .

إن المقاربة السوسيولوجية للتربية عند دوركايم تجعل منه علما بارزا ورائدا متميزا من رواد سوسيولوجية التربية ،وهو تخصص متفرع لأن الشأن التربوي جزءا لا يتجزأ من مشروعه العلمي السوسيولوجي

يمثل إميل دوركايم أحد كبار علماء الاجتماع الفرنسيين الذين وضعوا القواعد الأولى لسوسيولوجيا التربية، ويعود له الفضل في بلورة هذا العلم الذي يدرس التربية كواقعة اجتماعية. ولعل الهدف هو غاية تأسيس قواعد للأخلاق تكون موجهة نحو تربية المجتمع، أو بالأحرى نحو تربية الناشئة. وهذه التربية الأخلاقية الاجتماعية في نظر دوركايم، هي أحد الأسس التي تقوم عليها الدولة الحديثة، بما هي تربية عقلانية و لائكية. خلافا للتربية الدينية المسيحية التي كانت سائدة في المجتمعات الأوروبية و تحديدا المجتمع الفرنسي والتي ارتبطت بالعصور الوسطى العصر الوسيط. و لأن غاية دوركايم هي إفراغ هذا النمط من التربية من المحتوى الديني وشحنها بمبادئ تنويرية لائكية علمية ، أو ما يسمى ب" علمنة للتربية ".

القيادة التربوية و رهان التربية الأخلاقية

يلعب المجتمع دورًا مهمًا في تشكيل التعليم والقيادة التربوية. غالبًا ما يتم تحديد السياسات التعليمية والتمويل والموارد وفقًا للقيم و الأخلاق الاجتماعية و ايتيقا التعايش مع الذات و مع الآخر.وهنا يكمن دور القيادة التربوية في التأثير على المجتمع عبر تعزيز القيم المجتمعية و تشكيل الرأي العام . فالقائد التربوي يدعو إلى التغيير والعمل على تحسين النتائج التعليمية و الأخلاقية للمتعلم وهده العلاقة بين التعليم المجتمع هي ما يختص بها علم الاجتماع التربوي المعاصر بما هو مجال هذه الدراسة الذي يسعى إلى أن يكون التعليم هو عملية اكتساب المعارف والمهارات والقيم من خلال تجارب التعليم المختلفة .

إن العلاقة بين علم الاجتماع التربوي المعاصر والتربية هي علاقة تأثير متبادل. يدرس علماء الاجتماع التربوي السياق الاجتماعي وهذه المعرفة يمكن أن توجه الممارسات والسياسات التعليمية. وفي جهة أخرى ، يمكن للممارسات والسياسات التعليمية أن تشكل السياق الاجتماعي الذي تحدث في عملية بناء النسق المعرفي الايتيقي الأخلاقي للمتعلم في إطار زمكاني (زماني مكاني)معين و بالتالي " لكل مجتمع نظامه التربوي الخاص كما هو الحال بالنسبة لنظامه الأخلاقي و نظامه الديني و الاقتصادي إلخ ..."[25] ومن هنا تختلف الممارسات التربوية من مجتمع إلى آخر "وكما يستوحي رجل الدين أفكاره الأخلاقية العليا من إرادة ربانية ، فإنّ المعلم يستوحي أفكاره الأخلاقية من العصر الذي يعيش فيه و من البلد الذي يحتضنه "[26].

فعلاقة الأخلاق بالتربية وثيقة جدا فالأخلاق هي المبادئ والقيم التي يقوم عليها سلوك الفرد لها دور في اتخاذ قراراته السوية. أما التربية عملية فالغاية منها تنمية وتعزيز القيم والأخلاق المثلى لدى الأفراد من خلال تثقيفهم وتنويرهم بالعلم و المعرفة من أجل تطورهم وتقدمهم.إذ " تتباين التربية اليوم أيضا مع تباين الطبقات الاجتماعية ، ومع تباين المجتمعات الإنسانية ،فالتربية التي تسود في المدينة ليست تلك التي تسود في الريف ، والتي تسود في إطار الطبقة البورجوازية غير تلك التي تسود في أوساط العمال "[27] فالتربية ليست كونية مطلقة بل خصوصية يتفرد بها كل مجتمع و ليست نموذج مثالي بل هي تجسيد لتجربة جماعة ما وعصر ما وطبقة ما ...

تعتبر التربية مسؤولية الجميع، من الأسرة إلى المدرسة والمجتمع. ثم الدولة يتعلم الأطفال الأخلاق والقيم، من الأسرة وتقوم المدرسة بتعزيز هذه القيم الأخلاقية وتعلم الأطفال كيفية التصرف في اتجاه الصواب .وتساهم المجتمعات في التشجيع على الأخلاق الخيّرة من خلال إقامة قوانين ،أعراف وقيم اجتماعية تعزز الاحترام المتبادل ،المساواة ، العدل ،الحب ، الصداقة و غيرها من القيم العليا.هي قيم ايتيقا الحياة و التعايش السلمي مع الآخرين وبالتالي فإن القيادة التربوية لها دور فعال في ترسيخ القيم

الأخلاقية في المجتمع والعمل بمبدأ " العيش معا " . ويحدد في هذا السياق دوركايم عناصر التربية الأخلاقية باهي متمثلة في :

أولا: روح الخضوع و النظام[28]

ثانيا : التعلق بالهيئات الإجتماعية [29]

ثالثا : إستقلال الإرادة[30]

وعليه، يمكن القول أن التربية تلعب دورًا حاسمًا في إقامة مجتمع لائكي مبني على أخلاق عليا، والمساهمة في بناء مجتمع متقدم ومتطور.

يعترض ايميل دوركايم على بعض التحديدات سواء القديمة منها أم الحديثة وخاصة الفلسفية منها كتحديد الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط و الانقليزي جون ستيوارت ميل بماهي تنطلق من مسلمات خادعة معتبرا أن التربية الحقيقية هي التي "تعبر عن النظام الاجتماعي والثقافي لكل مجتمع إنساني، فهو الذي يحدد نمط التربية السائدة داخل المجتمع. هذا الأخير هو القوة القاهرة على الأفراد، وهو الذي يجعل منهم كائنات اجتماعية ".

إن التربية، وفق سوسيولوجيا دوركايم، هي ظاهرة اجتماعية وظيفتها المركزية هي تحويل الأفراد إلى كائنات أخلاقية اجتماعية. فهم لا يولدون ككائنات اجتماعية، ولا يحملون في ذواتهم أفكار أخلاقية أو دينية أو سياسية، وإنما يكتسبونها من المجتمع، بواسطة التنشئة الاجتماعية من أجل قيام تربية أخلاقية وعقلانية يقول دركايم : " الواجب هو الخلق في أمره وفي نهيه، إنه المستودع الذي ينبغي الخضوع له، فالخير هو الخلق باعتباره يظهر لنا كشيء جيد و كمثل أعلى مرغوب فيه، و الذي نتطلع إليه بمحض إرادتنا. و وحدهما فكرة الواجب و فكرة الخير كونهما مفهومين مجردين، عندما نربطهما بواقع حي، يحتاجان إلى كل ما يمكن أن نخاطب به العقول و القلوب، وخصوصا عند الأطفال. ولا شك أن كل فرد له شعور حي اتجاه الأشياء الخلقية، و يمكن أن يتحدث عنها بكل حماس " [31].

وعليه يرى دوركايم أنه يجب القيام بعلمنة الأخلاق وعقلنتها، يجب أن نقوم بإفراغ الأخلاق من كل محتوى ديني ونشحنها بالمبادئ العلمية والعقلية، حتى تكون أخلاق متطورة مواكبة للعصر. في هذا السياق يقول دوركايم: يجب أن نذهب بعيدا ونقصد رأسا إلى لب المبادئ الدينية لكي نبحث بين ثناياها عن الحقائق الأخلاقية المخبأة فنخلصها لكي نعرف كنهها تماما ونحدد طبيعتها الذاتية، وبذلك يتسنى لنا أن نعبر عنها بلغة العقل. خلاصة القول يجب علينا الكشف عن الرموز العقلية لهذه الأفكار الدينية التي ظلت مدة طويلة تجر في ركابها أهم الأفكار الأخلاقية.لكن " بعد أن أنزل دوركايم الأخلاق من السماء إلى الأرض استطاع أن يرى بوضوح الأساس الإنساني للأخلاق التي يسعى إلى أن يتعلمها الناس ويمارسوها عن إقتناع و إيمان" [32].

يمكن تعريف التربية بأنها "الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد، وذلك من أجل الحياة الاجتماعية[33] "ويكمن هدف التربية في تنمية الجوانب الفيزيائية، والعقلية، والأخلاقية عند الأطفال وتطويرها، وذلك على النحو الذي يحدده المجتمع السياسي بوصفه كلا متكاملا، ووفقا للصورة التي يعلنها الوسط الاجتماعي الخاص الذي ينتمي إليه الأطفال". وباختصار شديد " التربية عملية تنشئة اجتماعية منهجية للجيل الجديد [34]." و لا يجب التغافل عن أنّ للتربية خصوصية مشتركة واحدة في كل مكان تتمثل في أن الغايات التي تسعى إلى تحقيقها والوسائل التي توظفها مرهونتان إلى حد كبير بالضرورات الاجتماعية ، التي تتمثل في أفكار ومشاعر جمعية ، وهي من غير ريبة،المشاعر والأفكار التي يجد فيها الفرد خصوصيته " [35].

دور المؤسسات التربوية

يؤكد دوركايم مهتم بعلم الإجتماع التربوي أن المدرسة هي الفضاء الأنسب للتربية الأخلاقية، بالنظر الى أن الأسرة لا تمتلك تكوينا عقلانيا وعلميا و أكاديمي يمكنها من تربية الطفل بشكل أفضل، فهي بحكم تكوينها وخبرتها المحدودة لا تستطيع أن تكون أداة فعالة بشكل مطلق كي تعد طفلا للقيام بواجباته في الحياة الاجتماعية . ومن هذا الداعي تكون المؤسسة التربوية الممثلة في فضاء المدرسة هي القادر على ترسيخ مبتدى اجتماعية أخلاقية ، وذلك وفق رؤية سوسيولوجية تجعل من المدرسة المؤسسة التي بإمكانها القيام بالتربية الأخلاقية للأطفال. إنها المؤسسة التي تمكنهم مستقبلا من المشاركة في الحياة الاجتماعية بكل انضباط ، التزام ، وعي ومسؤولية. "والإنسان الذي يجب أن تحققه التربية فينا، ليس هو الإنسان كما خلقته الطبيعة، ولكن كما يريد المجتمع أن يكونه، ويريده كما تقتضي ذلك نيته الداخلية " [36].

ينبه دوركايم إلى فضل المدرسة في إدماج الطفل في المجتمع فالمدرسة وسيلة للمحافظة على الإرث اللغوي و الديني و الثقافي و الحضاري و وسيلة لتحقق الانسجام و التكيّف مع المجموعة ، أي تحويله من كائن غير اجتماعي إلى كائن اجتماعي وتساهم في بناء العادات و الأعراف الاجتماعية .

وتعد الإدارة التربوية من العناصر الرئيسية المؤثرة في نجاح الفعل التربوي، حيث تساهم الإدارة بشكل حاسم في تحسين الأداء التعليمي وتحقيق الأهداف المنشودة من العملية التعليمية وهي بذلك تراعي متطلبات البعد التعلمي و استعدادات المتعلمين وحاجيات المجتمع.

فأهمية القيادة التربوية هي في قدرتها على التوجيه والإرشاد والدعم من أجل تنفيذ برامج فعالة لتعليم. بالنظر إلى الدور الحاسم الذي تلعبه في تشكيل رؤية تضمن توافق هذه البرامج مع التطورات العلمية الراهنة وباعتبارها مسؤولة عن تعزيز ثقافة الخلق و الإبداع والتقدم في العمل فالقيادة التعليمية ضرورية لضمان جودة وفعالية التعليم التربية والأخلاق.وتلعب أيضا دورًا حيويًا في تزويد المتعلمين بالمعرفة والمهارات والقيم الايتيقية للتنمية الشخصية والاجتماعية.

خاتمة

فالتربية ،إذن لها علاقة وثيقة بالمجتمع، حيث تشكل وتؤثر في الفرد و المجتمع بشكل عام. ذلك لأنها تساهم في بناء قيم المجتمع ونشرها، وتقوم على تعزيز التواصل والتعاون بين أفراد المجتمع، وتنمية الإدراكات و الوعي والمهارات الاجتماعية للأفراد، وتهيئ الأجيال القادمة للمشاركة الفاعلة في تقدم المجتمع. من أجل تشكيل عقلية اجتماعية للأفراد وتعليمهم كيفية التعامل مع الآخرين والاحترام المتبادل لتحقيق العدالة والمساواة وبالتالي بلوغ الديمقراطية التي يجب أن تعتمدها الدول الحديثة في أنظمتها .وفي نهاية الأمر يمكن القول إن التربية تعمل على تحقيق التوازن والاستقرار في المجتمع، وتساعد على بناء جيل قادر على مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية و العيش ضمن نظام اجتماعي سياسي قائم على السلم الدائم يطيب فيه العيش بل حسن العيش .

هوامش البحث:

1إميل دركايم1917-1858عالم اجتماع فرنسي من مؤسسي السوسيولوجيا في فرنسا مهتم بعلوم التربية في علاقة بالمجتمع له عدة مؤلفات من أهمها " التربية و المجتمع " ، التربية الأخلاقية " .

2 Emil Durkheim, Éducation et sociologie. Introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE Félix ALGAN. 1992 .p106.

3علي اسعد وطفة ،التربية في سوسيولوجيا دوركايم ، مجلة التنويري ، 2023.

4إميل دوركايم ، التربية والمجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996مقدمة المترجم .

5 إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996.

6علي اسعد وطفة ،التربية في سوسيولوجيا دوركايم ، مجلة التنويري ، 2023 .

7إميل دوركايم ، التربية والمجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996، ص56 .

8إميل دوركايم ، التربية والمجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996 ،ص55 .

9 Emil Durkheim, Éducation et sociologie. Introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE Félix ALGAN. 1992 .p36 .

10 Emil Durkheim, Éducation et sociologie. introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE Félix ALGAN. 1992. p38.

11إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996،ص58 .

12 خالد أودينة ، مكانة التربية ضمن السوسيولوجيا عند دوركايم . دراسة إبستيمولوجية تحليلية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 15، العدد 26 ،2018 .

13 Emil Durkheim, Éducation et sociologie P.U.F. Paris, 1989, p 47. ،

14 Emil Durkheim, Éducation et sociologie P.U.F. Paris, 1989,p20. ،

غي أفانزيني، الجمود والتجديد في التربية المدرسية، ترجمة عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 324 .

16 Emil Durkheim, Éducation et sociologie P.U.F. Paris, 1989, p ،41.

17إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996،ص58 .

18 إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996ص117 .

19 Emil Durkheim, Éducation et sociologie . introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE FéLIX ALGAN . 1992 p 5 .

20 مريم معبود ، المجتمع-ورهانات-التربية-على-القيم-في-فكر-إيميل-دوركايم_-مقاربة-نظرية ، مجلة دراسات ، المجلد 11 ،العدد 1ماي2020.

21 محمد زيان ،مساهمة إميل دوركايم في سوسيولوجيا التربية ، مجلة أنثروبولوجيا ، المجلد 5 ، عدد9 ، 2019 .

22 Emile Durkheim ،Éducation et sociologie ، introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE FéLIX ALGAN . 1992.PAGE 1.

إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996،ص17 .

23

24 إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996 ص 69 .

25إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996،ص99 .

26إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996 ،ص91.

27 Emile Durkheim ،Éducation et sociologie ، introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE FéLIX ALGAN . 1992.p109.

27

28 التربية الأخلاقية ، ايميل دوركايم ،ترجمة السيد محمد بدوي ، القاهرة ، 2015 ، ص19 .

29 التربية الأخلاقية ، ايميل دوركايم ،ترجمة السيد محمد بدوي ، القاهرة ، 2015 ،ص 64 .

30التربية الأخلاقية ، ايميل دوركايم ،ترجمة السيد محمد بدوي ، القاهرة ، 2015 ،ص108 .

31 Emile Durkheim, éducation morale, ed. nouvelle Alcan, 1938, p 107

32التربية الأخلاقية ، ايميل دوركايم ،ترجمة السيد محمد بدوي ، القاهرة ، 2015 ، ص 12 .

33 Durkheim éducation et sosciete introd. de Paul Fauconnet, BIBLIOTHEQUE PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE. LIBRAIRIE FéLIX ALGAN . 1992 page 41 .

34علي اسعد وطفة ،التربية في سوسيولوجيا دوركايم ، مجلة التنويري ، 2023 .

35إميل دوركايم ، التربية و المجتمع ،ترجمة علي أسعد وطفة ،دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ،الطبعة الخامسة 1996 ،ص144 .

36 J. Leif et Rustin, Philosophie de l' éducation, T.I ed, Delagrave, 1970, p .115-116